وأما أولئك المولعون باستخدام مسميات نحو: "الفن الإسلامي"، الفلسفة الإسلامية"، العمارة الإسلامية" إلخ ... سوف يكون تحدياً كبيراً لهم أن يقروا أننا كـ "أمة مسلمة" لم نخول بإبداع ما قمنا به فعلاً من تشييد بغداد العباسية العظيمة، أو إسبانيا الإسلامية ذات البهاء؛ فالأمر لا يحتاج سوى أن يتحول المرء للنموذج الذي أصل له الإسلام ليدرك أن روعة الجمال المعماري لتاج محل والعجائب الأخرى للهند المغولية والتي تذكرنا أحيانا بماضينا المجيد ليست سوى انحرافا عن الدرب النبوي الأصيل.

نحو رؤية مستقبلية للإسلام

يقول الله في كتابه الحكيم:

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا
ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ
۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤ ﴾

(سورة التكوير 7-14)

ىمطالعة هذه الآيات الكريماتالقرآن العظيم، يجد نفسه أمام مشهد يذكره على الفور بشبكة المعلومات الدولية؛ وهنا يختلط تصور الإنسان ليوم القيامة بهذا العالم الدنيوي، هذا العالم الذي طغت فيه الحياة الحديثة على الاتجاه .؛ ولا عجب أن يمكننا القرآن، وهو كلام الله تعالى، من تصور الماضيالماضي والحاضر والمستقبل في رؤية واحدة تشبه كثيراً النظر المفاجئ إلى صاعقة رعدية.

وما كان العجب من خلق فضاء افتراضي بعيداً عن عالم الحقيقة عجباً عادياً فهو عالم يتفاعل فيه ملايين البشر فيي مناقشة جادة ومدروسة لكل ما يوجد تحت الشمس من قضايا وموضوعاتالتي، مما يجعله ظاهرة تسهم وبشكل سريع في تشكيل رؤيتنا نحن بني الإنسان حتى نا لتلك القضايا لا توجد تلك المرجعيات الدينية الرسمية التي

يلجأ الناس إليها ألللموافقة على أداء عمل ما،عالم يتعذر فيه تطويع الآراء ةأو إخضاع أصحابها قوة السلاح. ففي؛ وفي عالم الإنترنتالإنترنت ليس هناك ، ولا في دائرة الضوء، أو مناطق ةأىضواحي إنه لأحد مشاهد مرحلة تقليدي حقيقييتمتع االبشرى بالفي بناء صورة ذهنية فيض من الخيوط الفكرية الطليقةفي؛إنه عالم إلىدوندونأدنى نبر ذأيمنه أو تنتمي إليه؛ ونظراً لما مني به العقل البشري من إحساس عميق بالخير والشر، فإنه عرضة في هذا العالم الافتراضي لمواجهة الشيطان أو ملاقاة أعدائه عل حد سواء؛ وفي ما نراه من الإجاباتالإجابات التقليدية الثابتة المستقاة من الكتب والمصادر التقليدية القديمة والمعدة مسبقاً للرد على أسئلة بسيطة فإن هذا العالم مليء أيضاً بالكثير من القضايا المستحدثة التيي تدعونا أن نفكر فيها بشيء من الحداثة لقد ساهم عالم الإنترنت في خلق منبر جديد يضج بالأفكار التي تتنوع من مجرد الالدعايةال للمناظرات الأكاديمية ،.

وكل هذا مهد الطريق لخلق مسرح يتسع لعقد مناظرات دولية حقيقية تتسم بالوضوح والحرية، ولظهور رسالة الله تعالى واضحة جلية دون ألوان محلية أو اتقومية.؛ فالإسلام هو رسالة الله تعالى إلى البشريةومحمد ﷺ هو بشير للعالم ، فأين يمكن لهذه الرسالة ونبيها أن يجدا تقديراً الأفضلأفضل مما يمكن أن يقدمه عالم الإنترنت؟ فالعقل المسلم التقليدي ما زال فيفي حيرة لأن الاتجاه الجديد ىالقديم آذى الذي كان العالم إلى دار الإسلامالإسلام ودار الكفر إلى النسيان فيفي جزر منفصلة عن العالم ولا تتصل ببعضها؛ فهؤلاء المولعون بالنظر إليإلى العالم من وراء نظارة الثقافيثقافة أو بالتعرف على رسالة الله تعالى من خلال الثقافة العربية ربما لا يستريحون بالاتجاه الجديد الرامي إلىيإلى الفهم الحر لرسالة الله تعالى من خلال صفحات الإنترنت.الإنترنت بعد تحريرها من الصبغة الثقافية القومية؛ فالقول بأن الإسلامالإسلام دين شرق أوسطي والتخطيط التقليديأوسطياً نفس الشيء ينطبق على عرض التقليدي للإسلام الذيالذي يقدمه مفسروه بعد أن ألبسوه عباءة الثقافة العربية.

ففي بعض أحقاب المسلمين كان مفكرونا وعلماؤنا يعتقدون أن الطريق الوحيد لضمان بقاء الإسلام يكمن في حماية المظاهر الخارجية والأشكال التقليدية لأسلوب

ا. ربما كان كتاب اضالصراطالمستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم" لمؤلفه ابن تيميه "اقتضاء الصراط المستقيم والذي يعتبر لإيقاف انحطاطنا , هو الوثيقة عن تلك ا التي لم توضع موضعها السليم؛ فنوعية الإسلام الذي ينبثق من أمثال هذه أوالولع عن "الآخر"؛ إن هذا التقليد الزائف عديم القيمة و, مجرد إسناد جيد ابن تيميهتيمية نفسه قد أصبح عامل تشكيل الإسلامي في عصر الانحطاط؛ إن ارتباط الإسلام بالثقافة العربية قد أحدث شكوكاً خطيرة في ة رسالته،بل وأدى الدعوة في المناطق غير العربية؛ وتأثير هذا شديدبالغ التأثير حتى وجد له صدى في أماكن مختلفة عبر العصورفي الهند مثلاً,نجد أن أحمد سرهندي وشاه ولي الله كانا يعتقدان أنه من الواجب على المؤمنين مقاومة أي شئ غير عربيواعتبار الفخر في كل عربي؛ ولكن مما يؤسف له أن هذا المظهر العربي الخاص بالنسبة للإسلام أضحى أمراً طبيعياً لدرجة أن كثير منا إلىاليوم لا يكاد يستطيع تصور المسلم الحقيقي من غير ثوب عربي أو زي . يقال لنا,أن لبس ثوب غير عربي أو قص الشعر بطريقة غير عربية قد يؤدي إلى بطلان عقيدة المسلمبل حتى تعلم لغة أجنبية لم يكن عن ذلك ببعيد؛ واستناداً إلى دعاة هذا الفكر الموضوعة أصبح تعلم اللغة الفارسية حراماًعلى ذلك فإن تلك الرؤية التحريمية,التحريمية بكل ما , وصل تنطبق في عصرنا على اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللغات الأجنبية الأخرى ذلك لأن ثمة اعتقاد خاطئ كان سائداً, كما ابن تيميه,تيمية، مفاده أن اللغة الفارسية تدخل المرء إلى مسالك النفاق بل والأنكى من ذلك حسب هذا الاعتقاد أن المسلم إذا استوطن غير أرض المسلمين فإنه سيحشر يوم القيامة في زمرة الكافرين.

إن هذا العرض الجغرافي والثقافي لدين عالمي لم يلزم المسلمين فقط بالانضواء داخل حدودهم النفسية التي هي من صنع أيديهم، ولكنه أيضاً أوجد نوعاً من كراهية الآخر والخوف منه، الأمر الذي يناقض صحيح دعوة القرآن لخلق مجتمع كوني واحد على أساس التوحيد. لقد كان الداعمون للمنظور التوحيدي الجدد يدّعون أنهم دون غيرهم أول من عبد الإله الواحد الحق، غير مدركين لما ينطوي عليه هذا الاتجاه المنغلق من مضامين سلبية؛ فلقد اعتاد الموحدون الجدد أن يدفعوا بقولهم: "أجمع أهل السنة والجماعة أن المسلمين العرب لهم أفضلية على غير العرب"، وهذه

المقولة غير المسؤولة إلى جانب أنها تمثّل خيانة لتعاليم الإسلام فهي تعبّد الطريق لصراع العرب مع غير العرب، وصراع الشرق مع الغرب.

وفي ذلكم العالم دائم الانكماش بات الخيار الأوحد أمام المؤمنين أن يواكبوا غيرهم بالعيش في نفس الكوكب جنباً إلى جنب مع غير المؤمنين؛ مما يحدو بنا أن نعيد النظر في فهم الموحدين الجدد للإسلام؛ فبجلوس الشخص المؤمن في مقهى للإنترنت بمدينة عربية كالقصيم أو الرياض فإنه يتفاعل في نفس العالم مع ملايين من الغرباء عنه بالكلية؛ أي أمر يمكن أن يثير حفيظة البعض أكثر من أن يختلط المؤمنون بغير المؤمنين والرجال بالنساء في غرفة حوار إلكتروني خاصة؛ ورغم ما ينطوي عليه ذلك الحديث من مخاطر فقد أضحى أمر لا يمكن تفاديه.

ولا يمكننا لوم الموحدين الجدد دون غيرهم بتبني عقلية الفكر المنغلق؛ فهناك أيضاً الصينيون والهنود واليهود والأمريكيون، وكلهم يدعي حقاً منفرداً عن الآخرين في القرن الحادي والعشرين. فقد مرت بعض الأحايين التي أخذ كل منهم يفكر في دائرة فلكه القومي المحض بل وفي وطنية عدوانية؛ وكان السؤال الحيوي الذي فرض نفسه على الكثير منهم هو: لمن تكون الغلبة في القرن الحادي والعشرين؟ وفي وضع تسود فيه طنطنة القومية على تصور " الآخر"، فليس مستغرباً أن تشعر طائفة من المسلمين بعد انهيار "إمبراطورية الشر" أن المعوق الأوحد لقيام دولتهم هم "الأمريكيون الأشرار"؛ وعليه فإن عليهم أن يخططوا لسقوطهم؛ وبينما يبدو وجود هذا الاتجاه نتيجة طبيعية لما يجري في العالم؛ فإنه يضائل من أملنا في المستقبل؛ فلو تصور الملهمون من المسلمين المتدينين – والذين ما زال لديهم تصور ملتبس عن تخويلهم مسئولية قيادة التاريخ حتى نهاية العالم – لو تصور هؤلاء مستقبل عالمنا من منظور الهيمنة، فأين يستطيع المرء أن يجد ملجأ حينئذ؟! لقد جاء الإسلام لتحرير البشرية من كافة أنواع الهيمنة، ولو آل الأمر بالمسلمين أن يكونوا في مواقع الهيمنة بدلاً من "هيمنة الآخر"؛ فإن ذلك سوف يقوض جوهر وجودهم.

لقد حان الوقت أن نبلور رؤية مستقبلية لعالم لا تتاح فيه الفرصة لطائفة بعينها أن تهيمن دون غيرها على مجريات الأمور، بل عالم يتوحد فيه الجميع كأسرة

واحدة تعبد الإله الواحد؛ بهذا المنحى المعتدل ولطرح رؤية الإسلام قدماً وبشكل فاعل، بات لزاماً على المسلمين أن يخرجوا من دائرة تقوقعهم التقليدية. وإذا لم ندرك أننا أيضا لدينا رؤوساً تعلو هاماتنا كتلك التي كانت لأسلافنا، وأن وظيفة رؤوسنا لا تكمن في وضع القبعة أو الطربوش عليها؛ فإننا لن نستطيع أن ننحي الغثاء الفكري الذي جعلنا نجمعه بمحض إرادتنا طوال قرون من الإبحار الفكري السحيق؛ وأما أولئك المولعون باستخدام مسميات نحو: "الفن الإسلامي"، الفلسفة الإسلامية"، العمارة الإسلامية" إلخ ... سوف يكون تحدياً كبيراً لهم أن يقروا أننا كـــ "أمة مسلمة" لم نخول بإبداع ما قمنا به فعلاً من تشييد بغداد العباسية العظيمة، أو إسبانيا الإسلامية ذات البهاء؛ فالأمر لا يحتاج سوى أن يتحول المرء للنموذج الذي أصل له الإسلام ليدرك أن روعة الجمال المعماري لتاج محل والعجائب الأخرى للهند المغولية والتي تذكرنا أحيانا بماضينا المجيد ليست سوى انحرافا عن الدرب النبوي الأصيل.

فالعقل التقليدي الذي ينظر إلى الإسلام على أنه "عبق التاريخ" يقر أيضا بأنهاأ "دين سماويسماوي"، ويرى أن الوصف الأخير يجب أن يفهم في تناغم كامل مع المعنى الأول، الأمر الذي يشكل تحدياً هائلاً أمام عودتنا إلى الإسلام القويم. لقد تولدت في أذهاننا القاصرة تشويشاتي هائلة عن طبيعة الإسلام ووظيفته؛ فنجد على سبيل المثال أن محاولة إحياء الثقافة العربية أو الثقافةالثقافة الشرقية في الغرب قد أظلتهاأ قداسة دينية؛ فحركات التحرر القومي في مختلف أنحاء العالم كنوع من الجهاد تفرضهعليهم التكاليف الشرعية؛ وحقاً فإن الأمة الإسلامية اليوم هي أسوأ الضحايا على الإطلاق لطغيان بوش وبليرالاستبداديتين.؛ وكذلك فإن الواقع يقول أن أمة دائمة بجراح جديدة لها الحق في أن تكافح وتقاوم ما ا استطاعت إلى ذلك، ولكن رؤية مستقبلية وتطلعاً لكل ما نصبوا إليهإليه كأتباع لآخر الشرائع السماوية يجب أن تكون أعمق من مجرد عمليات الخلاص الذاتي من انتهكت آدميتهمآدميتهم في خليج جوانتانامو وسجن أبو غريب، ومن أحرقوا أحياء في شوارع جو جارات. ؛ إن دمنا هو الدم المسفوك بشكل يومي في فلسطين وبقاع أخرى؛ وكذلك يجب أن لا ننسى في أقصى لحظات انفعالنا أننا‌أننا لن ننزل بالآخرينبالآخرين ما فعلوا بنا؛ . فنحن لا

نستطيع أن ننغمس فيفي مثل هذا الانتهاكالانتهاك الآدمي للبشر أو أن نزهق أرواح الأبرياء؛ وهذا هو مصدر قوتنا.

ةمن مويهدف لحماية المجتمع في المقام الأولالأول أكثر مما يعنى بحماية الحقيقة علماء المسلمين وحدهم أن ينظروا إلى ما وراء مصلحة المسلمين أمر يدهش؛ وبالرغم من ذلك، فإذا كنا نشعر بالأزمةبالأزمة التي يواجهها الإنسان وإذاالإنسانمسئولياتنا تجاه ديننا فإننا لا نستطيع أنأن ندع الأيامالأيام تمر تباعاً حصن على أمل أن يأتي مجيءاليوم الذي سوف يكون فيه كل شيء على ما يرام.شيء .

وقد أدى غلق باب المناقشة في أمور القرآن وإحاطته بسياج حديدي إلى تحجر العقل المسلم؛ فلم يكن أمام الشخص المسلم في العصور التالية سوى أن يكتسي بثوب الفقه السائد في الدولة العباسية ببغداد. وبما أننا نحيا في القرن الحادي والعشرين فإنه يتملكنا شعورٌ غير مريحٍ بأن الذين يتولون شؤون ديننا هم عظماء الماضي والذين ماتوا منذ فترة طويلة ولذلك لا يمكننا إلقاء اللوم عليهم علي عدم معرفتهم الكافية لعالمنا الحاضر. فنحن المسلمون – ولقرون عديدة – نعيش بلا رائد ولا عقل متفتح يساعدنا على التفاعل مع النص القرآني. قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورً۬ا﴾ (الفرقان:30)